اللحن في اللغة؛ نقص ثقافة وإزعاج أمة

Allahn in language; Lack of culture and disturbance of a nation

عبد القادر زرق الراس*

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، aek-zer@hotmail.com

تاريخ الارسال: 2023/04/13 **تاريخ القبول** 2023/05/22 **تاريخ النشر**2023/06/10

ملخص:

يتناول المقال ظاهرة اللحن؛ من حيث المفهوم اللغوي والاصطلاحي، وكيف كانت نظرة المتقدمين إليه؟ وكذا نظرة المثقفين المحدثين إليه، بأنه خطأ في اللغة، ونقص في الثقافة، فهو تهجين مبنى وتضليل معنى، ورغم ذلك نجد له انتشارا في الوسط الثقافي الرسمي وغيره: كالوثائق الإدارية، والمجالس العلمية، والتواصل اللغوي؛ المنطوق منه والمكتوب على حد سواء. مع ذكر بعض الأمثلة على ذلك.

الكلمات المفتاحية: اللحن، اللغة، العربية، الوثائق، الإدارية.

Abstract:The article deals with the phenomenon of ALLAHN; In terms of the linguistic and terminological concept, and how was the view of the applicants? Likewise, the modern intellectuals view it as a mistake in the language, and a lack of culture, as it is a hybridization of a building and a misleading meaning, and despite that, we find it widespread in the official cultural milieu and others: such as administrative documents, scientific councils, and linguistic communication; Both spoken and written. With some examples mentioned.

Keywords: ALLAHN, language, Arabic, documents, administration

مقدمة:

تُعَرَّف اللغةُ بأنها: ظاهرة اجتماعية، ووسيلة تواصلية، تتكون من مجموعة أصوات، ترتب عبر قوانين تواضعية، تضبط نظامها الصوتي والتركيبي، وتحمي حمولتها الدلالية من التصحيف والتحريف، إذ كل تغيير على مستواها الشكلي أو التركيبي يؤدي حتما إلى تشويه في المفهوم المعنوي والربط الحكمي الدلالي، الذي يحمله الوعاء اللفظي. ومن ثَمَّ عُدَّ اللحن عيبا مزعجا للمتلقين، وأسلوبا مفسدا لجمال البيان والتبيين.

فما هو اللحن؟ وكيف كان ينظر إليه الوسطُ العربي قديما؟ وما مدى تأثيره في واقعنا اللغوي اليوم؟ تلك هي قضايا هذه الورقة البحثية، فأقول وبالله أستعين.

* د. عبد القادر زرق الراس

مفهوم اللحن لغة واصطلاحا

1- اللحن في اللغة يطلق على عدة معان، منها: الخطأ في الإعراب ومجانبة وجه الصواب، جاء في المعجم الوسيط، قولهم: "لَحَنَ في كلامه يَلْحَنُ لَحَناً: أخطأ الإعراب، وخالف وجه الصواب في النحو، فهو لَاحِنٌ ولَحَّان"[1]. قيده بأنه انحراف على المستوى الشكلي، وتبديل بين الصوائت المطلوبة في القوانين الصرفية والنحوية الصحيحة، بأن توضع حركة موضع حركة أخرى.

2- وأما من حيث الاصطلاح، فهو: "عيب لساني يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم"[2]. عيب يُحرِّف الكلام عن مواضعه، فيحدث اضطرابا في المفهوم لدى المتلقي، وربما قلب المعنى رأسا على عقب، لأن الإعراب هو التعبير عن المعاني بالألفاظ، فإذا كان اللفظ مخالفا لما هو مطلوب قصدا عند المرسِل، فسد المعني عند المتلقي، إذ الإعراب تابع للمعنى عند المرسل، بينما المعنى تابع للإعراب عند المتلقي، لذلك قيل: أعطني المعنى أعطك الإعراب[3]. فاللحن صوت مكذوب، وشهادة زور، تدنس جمال اللغة، وتطمس نورها الساطع.

مِنْ ثَمَّ كان اللحن: أسلوبا مذموما سلفا وخلفا في الوسط الثقافي العربي، منذ صدر الإسلام إلى يوم الناس هذا، لا يقبله إلا شخص فاسدُ الذوق اللسان، عديم الفهم والبيان.

أ) في صدر الإسلام جاء في أثر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع رجلا يلحن فقال: "أرشدوا أخاكم فقد ضل"[4]. هو ضلالُ انحرافٍ عن جادة الصواب في التركيب العربي السليم. كما نُقِلَ عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه وجد جماعة يتعلمون الرمي فقال: سددوا رميَكم، فقال أحدهم: "نحن متعلمِين"، فقال عمر: "لحنُكم علي أشدُّ من سوء رميكم"[5]. لأن الرجل نصب الخبر "متعلمين"، والقياس أن يقول: "نحن متعلمون"، متعلمون: خبر مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم.

وقال عبد الملك بن مروان - خليفة أموي- (ت 86هج) "اللحن في الكلام أقبح من الجذري في الوجه"[6]. هكذا كانت نظرة القدامى للحن، كانوا يتحفظون منه، حتى قيل: إنَّ عبد الملك بن مروان لم يلحن في خطابه أبدا، رغم أنه شيبه ارتقاء المنابر.

ب) وعند المعاصرين نجد الشأن نفسه لدى العربي الفصيح المعتز بلسان قومه، والمحافظ على قواعد لغته، مثل الناقد الجزائري الكبير عبد الملك مرتاض - حفظه الله – الذي قال عن اللحن هو: "خروج عن الاستعمال العربي الصحيح، وهو ازعاج، يرقى إلى مستوى الذنب وارتكاب الجريمة في حق لغة الأمة،...فليس المفسد في العربية إلا كالمفسد في الأرض حَذْوَ النعل بالنعل"[7]. ووصف نفسه بأنه يُصابُ بالغثيان حين يسمعُ هذا الفساد اللغوي من المثقفين.

وهذا شأن كل الشعوب التي تحترم نفسها، وتحفظ قواعد لغتها من التحريف والتزييف، قيل: فساد اللسان كفساد الأديان، فلذلك اقترح بعض النواب في مجلس الشيوخ الأمريكي: أن توضع قوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة، كما يعاقب غيرهم من المجرمين[8].

فإذا كان هذا مع اللغة عند الغربيين! فكيف يكون الشأن عند العرب مع العربية التي هي شعار الدين، ووعاء الكتاب والسنة لدى المسلمين، فهدمها هدم لهما، قال الإمام مالك – رحمه الله –: "لو صِرْتَ من العلوم في غاية ومن الفهم في نهاية، فإن ذلك راجع لأصلين: كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولا سبيل إليهما إلا باللسان العربي"[9]. فاللسان العربي ترجمان الكتاب والسنة، على ضوئه وطبقا لقواعده يفهمان، وكل خدمة للعربية هي بالضرورة خدمة للدين الإسلامي الحنيف، الذي تولى الله حفظه بقوله: (إنا نحن نزلنا الذكرى وإنا له لحافظون)[10]. وبه حفظت العربية تبعا، فلا خوف عليها، وإنما الخوف على أهلها من الجهل بدينهم، وفساد قيمهم، بفساد لسانهم، الوعاء الرباني لأحكام القرآن.

المكر الاستعماري والطمس اللغوي

ركز المستعمر الفرنسي في الجزائر على طمس الدين وإضعاف المسلمين، فعمد إلى ضرب العربية؛ بتصنيفها لغة أجنبية، وتشجيع العامية حلى حساب الفصحى، كما ركز على تعليم أناس يستعين بهم، في الإدارة والقضاء والفتوى والترجمة ونحوها، متشبعين بالثقافة الفرنسية قلبا وقالبا قال البشير الإبراهيمي عنهم "لا يؤمنون باللغة العربية ولا بحضارتها، بل إنهم فيما بينهم كانوا أكثر ما يتحدثون بالفرنسية"[11]. وفرض المستعمِر هذه الرطانة الأعجمية فرضا.

وللأسف تلك الأعجمية التي فرضها المستعمر مع أختها العامية، مازالتا تسيطران على كثير من واقعنا اللغوي في وطننا الحبيب: الإداري منه، والتجاري، والإعلامي، والتواصلي: بنوعيه؛ الوظيفي، والإبداعي، شيء يندى له الجبين، بعد ستين سنة من الاستقلال، والإصلاح السياسي والإداري والثقافي والتربوي، مازلنا نراوح مكاننا، لأن الجرح عميق، علاجه يتطلب: وعيا وإرادة، وجهدا جماعيا متكاتفا؛ من البرامج التعليمية، إلى القوانين الرسمية، والتداولية الثقافية بجميع أطيافها، وقبل ذلك كله الإرادة الصادقة، والقابلية للتغيير الفعلي.

أمثلة من صور اللحن في واقعنا اللغوي

تقدم الكلام على أن اللحن إزعاج يرقى إلى مستوى الذنب والجريمة في حق لغة الأمة، خاصة عندما يكون في الرسميات مثل: الوثائق الإدارية، واللوحات الإشهارية، والإشارات المرورية، أوحين يصدر من المثقفين؛ ذوي الشأن باللغة والدين.

1–الوثائق الإدارية كشهادات الميلاد مثلا، نجد فيها "ولد على الساعة الحادية عشر مساءا وثلاثون دقيقة"[12].

في هذه العبارة ثلاثة أخطاء:

الأول: "عشر" تكون بالتاء لأنها مركبة، وتعود على الساعة وهي مؤنث، والعشرة توافق المعدود إذا كانت مركبة وتخالفه مفردة، نقول: الساعة الحادية عشرة.

الثاني: لفظة "مساءا" تكون بدون ألف بعد الهمزة، لأنها في الأخير وقبلها ألف، قيل: الهمزة في الأخير لا تقع بين ألفين، فهي كالمرأة لا تكون في عصمة رجلين، تكتب: مساءً.

الثالث: "ثلاثون" تكون بالياء لا بالواو، لأنها معطوفة على الساعة، وهي مجرورة، والمعطوف على المجرور مجرور، وعلامة جره الياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

والرابع: في عبارة أخرى؛ "حرر في كذا، على الساعة الثامنة صباحا وعشرة دقائق" عشرة هنا تكتب بدون تاء، لأن العشرة مفردة تخالف المعدود؛ والدقيقة مؤنثة. تكتب (عشر دقائق).

كما يوجد في مؤسسة استشفائية لافتة كتب عليها: "حافظوا على النظافة المؤسسة". بهذا التعبير تكون لفظة "المؤسسة" صفة للنظافة، لا مضافة للمؤسسة، كما يقصد الكاتب. وفي وثيقة إحدى الإدارات "يرخص لفائدة المسجد النور"، (أل) في المسجد خطأ، لأنه مضاف.

هناك بلديتان متجاورتان إحداهما كتبتْ عبارة "حظيرة البلدية" بالظاء، والأخرى كتبتْ "حضيرة" بالضاد دون إشالة، منذ مدة وهما هكذا، والصحيح هو (حظيرة) بالظاء، جاء في المعجم الوسيط "الحظيرة: الموضع يحاط عليه لتأوي إليه الماشية، يَقِيهَا البردَ والريحَ"[13]. والماشية تعني الإبل؛ أي: وسائل الركوب والسفر تحبس في هذا المكان، وهو المعنى المقصود بلفظ "حظيرة البلدية".

وقال في المعجم الوسيط: أما "الحضيرة" بالضاد فتعني: "جماعة القوم أو المعَدُّونَ للقتال منهم، ومن العسكر: مقدمتهم، وموضع التمر (الجرين)"[14]. أظن أنه لا علاقة لهذا المعنى بمَحْشر السيارات والشاحنات.

2- ومن اللحن ما نجد في الوسط الجامعي، لافتة كُتِبَ عليها "يمنع التجمع في البهو الأجنحة"، الصواب في (بهو الأجنحة) دون "أل" في لفظة (بهو) لأنها مضاف إليها كلمة الأجنحة بعدها، و"أَلْ" والإضافة يتعاقبان، ولا يجتمعان في الاسم الواحد، "ليلا يلزم اجتماع مُعَرِّفين على مُعَرَّف واحد"[15]. أو مؤثرين على أثر واحد، كما في علم المنطق والكلام.

مثلها نجد عبارة "يتشرف الفرع الإقامة الجامعية بكذا"، في شهادة تكريم لبعضهم.

3- وفي كثير من المحلات، والسيارات، نجد عبارة: "صل على النبي" - صلى الله عليه وسلم-، مكتوبة بالياء (صلي) وهذا خطأ، لأنه فعل دعاء؛ أي أمر، ومعتل، يبنى على حذف الياء، فلا ترسم الياء فيه خطأً. ومثلها نجد عبارة (حذارِ[16]) في الطريق بالياء، وهي اسم فعل أمر، يبنى على حذف الياء أيضا، مثل الأمر تماما.

خاتمة:

ختاما أرى أنَّ هذه الظواهر كلها، تدل دلالة واضحة بأن كاتبها بعيد عن الذوق العربي السليم، ويتغافل أو يتجاهل القواعد العربية الصحيحة، ولا يبالي بنظامها النحوي والصرفي الفصيح، وهو أمر قبيح، أرجو من

الجميع إعطاء اللغة العربية حقها ومستحقها، من القواعد الصحيحة، والأساليب الفصيحة، ومراعاة ذلك لفظا وخطا. خدمة للعربية الشريفة، واحتراما لمقومات الأمة العفيفة، واعتزازا بشعيرة من شعائر الإسلام، والله ولي التوفيق.

قائمة المراجع:

1. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، مازن صلاح حامد مطبقاني، دار العلوم بيروت، ط1، 1988.
2. حاشية ابن الحاج على الأزهري لشرح الآجرومية، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، د ط، د ت.
3. حاشية محمد بن علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك، مج1، دار الفكر بيروت، د ط، د ت، ج2.
4. القواعد الأساسية للغة العربية، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية بيروت، 1354هج.
5. معجم الأخطاء الشائعة أو قل ولا تقل، الدكتورة كوكب دياب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، د ط، د ت.
6. المعجم المفصل في علوم اللغة "الألسنيات" محمد التونجي وراجي الأسمر، تح: اميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001، ج1.
7. المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وغيره، مجمع اللغة العربية القاهرة، ط2، 1972، ج1-2.
8. النحو العربي في مواجهة العصر، ابراهيم السامرائي، دار الجيل بيروت، ط1، 1995.
9. نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، دار البصائر للنشر الجزائر، د ط، 2012م.

[1] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة، ط 2، 1972، ج1-2، ص: 25.

[2] – المعجم المفصل في علوم اللغة "الألسنيات" محمد التونجي وراجي الأسمر، تح: اميل يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2001، ج1، ص: 497.

[3] – ينظر: حاشية ابن الحاج على الأزهري لشرح الآجرومية، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، د ط، د ت، 25.

[4] – رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، تحت رقم: 914.

[5] – حاشية ابن الحاج، مرجع سابق، ص: 08.

[6] – ينظر: القواعد الأساسية للغة العربية، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية بيروت، 1354هج، ص: 03.

[7] – نظرية اللغة العربية تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها، عبد الملك مرتاض، دار البصائر للنشر الجزائر، د ط، 2012م، ص: 268.

[8] – ينظر: معجم الأخطاء الشائعة أو قل ولا تقل، الدكتورة كوكب دياب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، د ط، د ت، ص: 06.

[9] – ينظر: حاشية ابن الحاج على الأزهري بشرح الآجرومية، مرجع سابق، ص: 08.

[10] – الحجر الآية: 09.

[11] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، مازن صلاح حامد مطبقاني، دار العلوم بيروت، ط1، 1988، ص: 47.

[12] – نموذج مستخرج من إحدى البلديات لأحد أبنائي.

[13] – المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وغيره، مجمع اللغة العربية القاهرة، ط2، 1972، ج1-2، ص: 227.

[14] – المرجع نفسه، ص: 225.

[15] – حاشية محمد بن علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك، مج1، دار الفكر بيروت، د ط، د ت، ج2، ص: 251.

16 – ينظر: النحو العربي في مواجهة العصر، ابراهيم السامرائي، دار الجيل بيروت، ط1، 1995، ص: 145.